مجلة العلوم الإنسانية
Journal of Human Sciences
www.Suj.sebhau.edu.ly
Received 11/05/2017 Revised 02/12/2017 Published online 01/01/2018

الإبداع البديعي في بناء الفاصلة القرآنية سورة القمر أنموذجاً

أبوبكر محمد سويسي
الجامعة الأسمرية زليتن، ليبيا

الملخص يسعى البحث إلى الإفادة من جملة المعايير البنيوية والأسلوبية التي من شأنها إبراز القيمة الفنية لجماليات السجع– الفاصلة القرآنية–من طريق البحث عن شبكة علاقات دلالية تربط بين البنية اللغوية للفاصلة القرآنية والسياق العام– الداخلي والخارجي– لتكون الفاصلة فاعلة في رسم ملامح المكون الجمالي للعنصر البديعي في النص القرآني، تعمل فيه على طرح جديد لدورها التي تضطلع به، وذلك بما يجسد دور البديع في تحقيق النصية والأدبية، والخروج به من ربقة الأسس الأولية؛ من نحو احتساب الفقرات وطولها وقصرها التي لازمته ردحا من الزمن لم يتمكن معها من القيام بالدور الأكمل والفاعل في عملية الإبداع الأدبي، فبقي رهن الزخرفة اللفظية والتقسيم العقلي المنطقي البعيد عن تمثل الفاعلية الإبداعية، وغير مسهم في التصوير الفكري للمضامين والرؤى قبل تحولها إلى أبنية لغوية تجسد لونا من البديع البلاغي.

إن هذه الدراسة تحاول في كل مباحثها إبراز القيمة الفنية للفاصلة وتعاضدها مع مكونات سياقها في عرض الفكرة وإيصال الدلالة والفكرة المبتغاة، فكانت منهجية التقسيم الموضوعي كفيلة بإنجاز المهمة الأدبية المتوخاة، فقسمت السورة إلى مقاطع موضوعية تعتمد الأنماط الزمنية الثلاثة في تفصيل أحداث السورة وحركة السياق في كل الموضوعات، حتى نتبين طبيعة الأساس المفعل في الترتيب والتنسيق بين هذه الفواصل، وطبيعة الحضور اللغوي مع فواصل كل موضوع من الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، وأيضا الوقوف على مدى التجاوب البنائي بين فواصل السورة، بما تشحنها إياه مكونات السياق من طاقات لغوية تمنح الفاصلة الفاعلية في النهوض بالجانب الجمالي والإبداع البديعي في النص القرآني عامة وفي سورة القمر خاصة.

المقدمة

في معرض التمهيد والتوطئة للبحث في ملامح الإبداع اللغوي للفاصلة القرآنية لابد أن أعرض لذلك الخلاف القائم بين القدماء حول نفي السجع أو إثباته للقرآن الكريم، وإن كان القائلون بالنفي لم يذهبوا–حقيقة– إلا إلى نفي المصطلح، فلقد ذهبوا إلى أن السجع تتبع فيه المعاني الألفاظ وأن الفاصلة بخلاف ذلك، فالألفاظ تابعة فيها للمعاني لذلك وجب نفي السجع عن القرآن وإثبات الفواصل له؛ لأن الفواصل (بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها).[i]

إلى غير هذا مما هو أشد تصريحاً في النفي لتعلقه بإعجاز القرآن الكريم وإثبات نبوة سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– من عدمها، إذ (لو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز .. وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب؟ ونفيه عن القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر)[ii].

ونرى أن القائلين بنفي السجع عن القرآن الكريم قد تركوا أثراً وانطباعاً لايزال يلاحق فن السجع، وذلك حين قالوا بتبعية المعاني للألفاظ فيه، فصار السجع لا يعدو محسناً من المحسنات اللفظية التي تعنى بالمظهر والشكل، مع أن للسجع قيمة تتجاوز ذلك الأثر اللفظي من احتفال بالصنعة واقتدار على التفنن في الصفة.

ولعل في تعليق الجاحظ على ما قاله الأعرابي من جمل مسجوعة، وإنكار عامل الماء عليه ذلك، ما يجلي النظر عن القيمة الفنية للسجع، فقد (أنكر الأعرابي حين شكا إلى عامل الماء بقوله: حلأت ركابي، وشققت ثيابي، وضربت صحابي، فقال العامل: أو تسجع أيضاً؟ إنكار العامل السجع حتى قال: فكيف أقول؟ ... وقال الجاحظ: لأنه لو قال–حلأت إبلي أو جمالي أو نوقي أو بعراني أو صرمتي لكان لم يعبر عن حق معناه، وإنما حلئت ركابه، فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب.... فقد تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول هو أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع بل قاد المعنى إليهما وعثر به عليهما)[iii].

والسجع–على هذا الأساس ألا وهو اقتياد المعنى له–لا يمكننا إخضاعه لمقياس الشكل الذي ارتضاه بعض البلاغيين في احتساب الفقرتين الأوليين منه (في عدة واحدة ثم باقي الثلاثة فينبغي أن تكون طويلة طولاً يزيد عليهما فإذا كانت الأولى والثانية أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو إحدى عشرة...)[iv]، ولا يخفى ما في هذا التنظير والتقعيد من تجفيف لمنابع الفن والإبداع، ويبدو أن هذه النظرة التي مثلها جيل من البلاغيين وسادت في مصنفاتهم[v] أساسها أبو هلال العسكري حين قال: (إن أمكن... أن تكون الأجزاء متوازنة كان أجمل، وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول)[vi]، فهي نظرة تفتقر إلى ما يحاول هذا البحث التوجيه إليه واستبصاره، والكشف عن جماليات الفاصلة القرآنية أو السجع الفني من خلال المواءمة بين النص والسياق المحكوم به، فهذا هو المعول عليه في إثبات جماليات الفنون البديعة ومن بينها الفاصلة القرآنية – السجع– فقد تطول فقرة وتقصر أخرى وهكذا، فالمقياس ليس خارجياً وإنما هو مقياس ينبع من النص ذاته، وما يحيط به من علاقات متشابكة ومترابطة تحتم نمطاً دون آخر، وتستخدم بناء دون سواه، لا لشيء إلا لما يمنحه من دلالات وما يقدمه من إسهامات تخدم مضمون النص وترتقي به مراتب متقدمة في الإبداع اللغوي.

وبما أن السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير منهما، فالمقصود بالفاصلة هي الكلمة الأخيرة من الجملة أو الفقرة التي تجعل كلاً منهما بإزاء[vii] الأخرى .

وبعد هذا التقديم فإن الفاصلة والفواصل هي الحقل اللغوي للسجع، فهي مجال حركته وعليها مدار بكرته، ونحن ندرك جلياً أن من بواعث نفي السجع عن القرآن المبالغة في تقديسه عما يوصف به كلام المبرزين من أهل صناعة الشعر والنثر فأضربوا صفحاً عن أن يوصف كلام رب العالمين بما يوصف به كلام المخلوقين ، وطووا كشحاً عن خبايا أصدافه وبدائع فنونه، سعياً إلى التخصيص ، وإبراز مفارقته لما عداه بالنظر والتمحيص.

وهذه الدراسة ليست معنية بالبحث في المسميات والتعليلات المتعلقة بجميع ذلك ولكن أخذاً بمبدأ خصوصية القرآن الكريم إذ (فواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام منها ولا تناسب)[viii].

لذا كانت الفاصلة هي المصطلح المتبنى في هذا البحث بحثاً وملاحظة وتحليلاً.

اختطت هذه الدراسة لنفسها خطاً بحثياً تحكمه مسارات ثلاثة، أسهمت آيات سورة القمر في تشكيله ورسم أطرافه وحدوده، انطلاقاً من الرؤى والأفكار التي ضمنتها السورة وبيان كونها موحدا منتظما في وحدة دلالية ، لا جمعا بين جمل

يعوزها الترابط الدلالي ، والفواصل قضية بلاغية وهي قضية لغوية لذلك كان هم البحث موجها إلى مسائل اللغة وتوظيفها أو تجلية أوجه الترابط الدلالي بينها ،أو من خلال تفاعل الرؤى والمعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم [ix] والسياقات التي اتخذتها لطرح هذه المضامين وهذه الرؤى، فالسورة الكريمة تحكم آياتها –وعددها 55 آية– ثلاثة مسارات تجتمع في سياق عام تنطق منه جميعها وتعود إليه من حين لآخر.

وعلى هذا تم رسم هذه المسارات وتحديد الآيات المشكّلة لكل منها، داخل سياق إعراض المشركين وتعنتهم عن الاتباع وعدم الاستجابة .

– فالآيات من رقم 1–8– تولت التوصيف الآني لمسألة الإعراض، فهي معنية بالحاضر وتدافعاته وعرض صور الإعراض وهيآته.

والآيات من رقم 9–45– تلحفت بالاعتبار والتذكير بما حل بالمعرضين السابقين، فهي معنية بالزمن الماضي لأخذ العبرة والاتعاظ.

والآيات من رقم 46–55، عنيت بالمستقبل وتفصيل الجزاء والمثوبة والعقوبة.

– وصف الإعراض الآني، وآياته من 1–8.

– وصف إعراض الأمم الماضية وآياته من 9–45.

– وصف الجزاء المستقبلي وآياته من 46–55.

وعلى هذا التقسيم يكون تناول جماليات الفاصلة القرآنية من خلال بنيتها التركيبية والبلاغية، وضبطاً للبحث في هذه السياقات الجزئية أو هذه المسارات والخطوط نصطلح على مسميات محددة لكل منها يسهل منها تحديد المقصود عند الإشارة إليه.

البناء النحوي للفاصلة في وصف الإعراض الآني:

قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (7)مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ(**8**)﴾

اتخذت الفواصل الثمانية في بنائها النحوي ملمحاً فنياً قائماً على أصل من التوزيع والترتيب بين عنصري التعريف والتنكير فيه من النمطية والتكرار ما يفي بالملمح الإبداعي للبنية النحوية في هذا المسار، وقد جاءت الفواصل على النحو التالي:

الفاصلة 1: وانشق القمر= جاءت فاعلاً معرفاً.

الفاصلة 2: سحر مستمر= جاءت صفة منكرة

الفاصلة 3: أمر مستقر= جاءت خبراً منكراً

الفاصلة 4: ما فيه مزدجر= جاءت مبتدأ منكراً

الفاصلة 5: فما تغن النذر= جاءت فاعلاً معرفاً

الفاصلة 6: إلى شيء نكر= جاءت صفة منكرة

الفاصلة 7: جراد منتشر= جاءت صفة منكرة

الفاصلة 8: هذا يوم عسر= جاءت صفة منكرة

كانت الفاصلة متخذة لوناً ترتيبياً بمجيئها معرفة مرة واحدة تعقبها ثلاث فواصل منكرة ثم تعود المعرفة لتسجل بعدها ثلاث نكرات كرة أخرى، وهذا ملمح بديعي برز في هذه الزخرفة اللفظية التي تعدت حدود الشكل الظاهري للنص إلى البنية التركيبية النحوية التي تناغمت في بنيتها مع أحادية الفاصلة ومشاكلتها وتوافقها لما تقدمها.

يضاف إلى هذا الورود المميز تلازم آخر بين عنصر التنكير في الصفة ومضارعة الفعل على نحو لا يكاد ينفك، فمتى ما كانت الفاصلة في هذا السياق صفة منكرة تضمنت آياتها فعلاً مضارعاً في الأعم، وقد وردت هذه التلازمية في الآيات المختومة بصفة منكرة وهي الآيات 2، 6، 7، 8.

فالآية رقم 2: يروا، يعرضوا، يقولوا.

والآية رقم 6: يدع.

والآية رقم 7: يخرجون.

والآية رقم 8: يقول.

أما الآية الثالثة والرابعة فلم تكن الفاصلة فيهما صفة منكرة، بل كانت اسماً مسنداً في الثالثة ومسنداً إليه في الرابعة، لذلك خلت الآيتان من المضارعة لعدم وصفية الفاصلة، وعلى ما تقدم فكأننا ندعي أن الفاصلة المعرفة لا تتضمن فعلاً مضارعاً على نحو ما جاء في الآية الأولى–اقتربت الساعة وانشق القمر–وإن تضمنت فعلين ماضيين، أما الآية لخامسة–فما تغن النذر– فالفاصلة معرفة ولكنها تضمنت فعلاً مضارعاً –تغن– وهذا من حيث المبدأ خلل في الأساس المفترض في البناء النحوي الذي تم ادعاؤه في سياق الإعراض الآني!.

ومع هذه الملاحظة فإنني أحاول حل هذا الإشكال بأن المضارعة مع الفاصلة المعرفة لم تكن مضارعة محضة، إذ المضارعة المحضة ما شملت الحال والاستقبال، ووقوع الفعل –تغن– منفياً لا يخلصه للاستقبال بل يقصره على نفي الحال، وجانب آخر وهو أن –ما–ليست خاصة بنفي الفعل المضارع بل تنفي المضارع والماضي[x].

وبوقوع المضارع تحت وظيفة النفي افتقد شيئاً غير قليل من خصوصيته التي من أجلها يكون ملازماً للوصف المنكر، وكأنه ما وجد في الفاصلة الخامسة مع معرفيتها إلا لما طرأ عليه–المضارع–من تأثيرات النفي بما النافية، فلما كان حاله كذلك لم يكن وقوعه مع الفاصلة المعرفة خروجاً عن الادعاء الذي تم افتراضه.

وبهذا تقترب الفاصلتان في الآيتين–الأولى والخامسة– من التماثل شبه التام، فإلى جانب معرفية الفاصلتين، اتفقتا في الخلو من المضارعة التامة، ثم إن الفاصلتين–الأولى والخامسة–وهما المعرفتان في هذا السياق لا تكاد نقاط الالتقاء البنائي بينهما تنتهي، وكأن معرفية الفاصلة في كلتيهما قادت إلى وضع قنوات تلاق وتعالق.

فالفاصلة رقم 1 وردت في آية تضمنت جملتين فعليتين (اقتربت الساعة+ انشق القمر).

والفاصلة رقم 5 وردت في آية تضمنت جملتين إحداهما اسمية والأخرى فعلية (حكمة بالغة+ تغن النذر).

والتماثل بين الآيتين المتماثلتين في معرفية الفاصلة يكمن في بنائها على التقديم والتأخير (وتقديره: انشق القمر واقتربت الساعة، أي لأن الأصل في ترتيب الأخبار أن يجري على ترتيبها في الوقوع)[xi] .

وفي الآية الخامسة نرى الحكمة متقدمة، وهي ما ينتفع بها صاحبها، والانتفاع يكون بعد السماع لا قبله، (والحكمة إتقان الفهم وإصابة العقل) [xii].

ولا يتأتى فهم إلا بعد سماع ولا يكون سماع إلا بقول، والقول هنا هو قول النذر الوارد متأخراً، والقياس فما يغني كلام النذر فهماً وحكمة، وما نرى هذا البناء التركيبي لجملتي الآيتين إلا مجاراة لكون الفاصلتان معرفتين.

البناء الفني في وصف الإعراض الآني:

هنا تعالج جمل فواصل هذا السياق معالجة فنية، من حيث مسائل الإسناد والظواهر التركيبية التي تضفي على الألفاظ المفردة معنى مخصصاً محدداً، فالألفاظ غالباً ما تكون دلالتها مبهمة وعامة حال إفرادها، ويتلاشى الغموض في معاني الألفاظ المفردة بدخول اللفظ في ضمائم تركيبية تحدد معناه وتخصصه، ومن هنا يتولد من المعنى المعجمي للفظ معنى آخر يسمى المعنى الراهن أو المعنى الحالي

وتتمدد المعاني من خلال معايير مختلفة من بينها وضع المفردة في استخدامات مجازية، أو تراكيب إضافية أو مصاحبات لفظية...

والجدير بالذكر هنا أن تحديد دلالة اللفظ لا يرتبط بالسياقات التركيبية وحدها بل كثيراً ما يتم التحديد من امتداد الجملة في النص، وهذا ما سنشير إليه

في معرض الحديث عن بناء الفاصلة وتحديد دلالتها من خلال امتداد مكوناتها في الجملة الواقعة فيها.

الفاصلة 2، 6

جاءت جمل السياق في مجموعها خبرية خالية من الإنشائية التي تستدعي أمراً غير حاصل، وكونها خبرية ملائم لمقتضى المقام، إذ المقام وصف لإعراض المعرضين وإخبار عن هيآت حصلت ووقعت أو هي في حكم ذلك.

وهنا توقفت عند الفاصلة رقم 2 (سحر مستمر) والفاصلة رقم 6، (إلى شيء نكر) فالآيتان .فاصلتاهما متحدتان في البنية التنكيرية، والآيتان تنحوان منحى معيناً في التركيب، أرى أن المستوى البلاغي لعب دوراً في إبرازهما بهذا اللون المميز عن بقية الفواصل والآيات، والتميز الذي بهما يتمثل في الآتي:

الآية رقم 2 في حين كانت الفواصل الواقعة صفة منكرة مقترنة بفعل مضارع واحد اقترنت هذه الفاصلة بثلاثة أفعال مضارعة–يروا– يعرضوا–يقولوا–

والآية رقم 6–في حين عم الإخبار جميع جمل السياق تضمنت هذه الآية إنشاء طلبياً في فعل الأمر: فتول عنهم–وهذا هو الموضع الوحيد في هذا السياق.

وأقول بأن علاقة بلاغية كامنة خلف تميز هاتين الآيتين في بنائهما الأسلوبي، فالفاصلة رقم 2 وقعت في الآية المجسدة للإعراض الآني–موضوع السياق–ففيها تم الإخبار عن إعراضهم وكيفيته–وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا فهو إعراض ناتج عن فعل سابق وصانع لفعل لاحق. فالإعراض لم يكن عن عمى وافتقار إلى دليل وبرهان، بل كان بعد استبصار ونظر ووجود بينة وشاهد على الحق، وهذا أشد أنواع الإعراض. ثم إنهم لم يعرضوا إعراض النائي بذاته عن غير ما يعتقد من نحو قوله تعالى: وأعرض عن الجاهلين–بل كان إعراضاً يسوق وراءه قولاً كاذباً–بقولهم سحر مستمر.

والفاصلة رقم 6 وقعت في آية كانت صدى للآية رقم 2، وذلك حين أشارت إلى ذكر ما ينتظر هؤلاء المعرضين من جزاء آخر ملائم لصنيعهم الذي كانوا يمارسونه في الزمن الحاضر وهو الإعراض، فقال: فتولى عنهم... والتولي إعراض مساوٍ لما كانوا يفعلون، فالجزاء من جنس العمل، وفي هذا مزيد امتهان ولوعة وحسرة حين يعرض عنهم في أضيق الأوقات وأعسرها مدكرين بهذا إعراضهم عن الآيات في الدنيا، وهذا التجاوب البنائي يضاف إلى قائمة التوحد في التميز عن بقية فواصل السياق وآياته.

والفاصلة –مستمر– من الاستمرارية وهي خلاف التوقف والانقطاع، فجاء وصف السحر بالمستمر إلا أن هذا القول بالسحر لم يكن هو البدء بل سبق وتقدم ذكره، ولنفوس المتلقين عهد به من قبل، فهو سحر معروف متكرر ومعهود منه مثله.

الفاصلة 1 و 3

إضافة إلى هذا هناك تعالق بياني بين الفاصلة رقم 2 والفاصلة رقم : 3. فبين "مستمر" و "مستقر" جناس ناقص من حيث أنواع الحروف، فاتفقت الفاصلتان في العدد والحركات والهيئة وتباينتا في النوع من الميم إلى القاف وهذا التجانس في الفاصلتين تبعه تجانس في تضمين الآيتين للفعل وأثره، فالآية رقم 1. ذكرت حدث رؤية الآية فهذا فعل أولي له تبعته وآثاره المترتبة عليه، يروا آية ـــ يعرضوا ويقولوا...

والآية رقم 3 . ذكرت التكذيب وما قاد إليه فقال: وكذبوا ـــ واتبعوا أهواءهم.

ثم ما بين مستمر ومستقر تضاد دلالي، فالمستمر قول كلامي وهو قولهم بأن الآيات سحر ملازم للمعنى.

أما مستقر فهي وصف لفعل وهو أن أمر دعوة محمد صلى الله عليه وسلم سيرسخ ويستقر بعد تقلقه، وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن أمرهم لا يعدو قولاً يحدث من حين لآخر كلما رأوا آية، وما كان هذا شأنه لا يحمل صفة الديمومة والاستمرارية التي يتضمنها حال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، فأمر هؤلاء ثابت راسخ مستمر ومستقر بدلالة الاسمية على ذلك.

الفاصلة 6، xiii7، 8

إن هذه الآيات الثلاث مثلت وحدة بيانية تعاضدت فواصل آياتها في كشف مآل المعرضين، وما ينتظر هم من أحوال وأهوال، وهذا التآزر الدلالي لايخلو من أصداء وتجاوبات تتردد في جنبات هذه الوحدة التي يمكن أن نطلق عليها–فواصل الوحدة الجزئية–فهناك كما سيتضح لنا تكامل بين الآيات وتعاضد بين الفواصل في ظواهر أسلوبية سيطرت على آيات الوحدة الجزائية.

الفاصلة رقم 6 صفة لمبهم –شيء–والمراد أمر عظيم مهول، ونكر أي منكر لفضاعته وهوله، والنكر وصف للأقوال من الكلام، فنقول: قول منكر، والقول المنكر أداته السمع، والسمع تضمنته الآية رقم 6. يدع الداع. فالداعي يتطلب سامعاً، وهذا تعالق بين الفاصلة نكر ومضمون الآية وهو سماع النداء والدعاء. وفي هذا مافيه من التأذي التفصيلي لكل جارحة من جوارح المعرضين لأذية تلائم وظيفتها، فالأذن وظيفتها السمع تتأذى وتعاقب من دعوة الداعي الموصوفة بالهول والنكير.

الفاصلة رقم 7 جراد منتشر، وفي بيان تعالق فواصل هذه الوحدة بإمكاننا أن نجعل الفاصلة تتعلق بما بعدها كما تتعلق بما قبلها، فقوله: خشعاً أبصارهم في صدر الآية رقم 7 حال من الضمير المقدر في يدع الداع. أي المعرضين المذكور في الآية رقم 6 عليه فإن منتشر متعلق بما بعده وهو مهطعين إلى الداع والآية رقم 8 اختصت ببيان حاسة البصر فأبانت أنها ذليلة ومنكرة ومفتضح صاحبها، ثم أردفت الآية رقم 7 بيان الخروج وهيئته فصورته تصويراً تمثيلياً أي كأنهم جراد منتشر –والجراد المنتشر هو المنبث على الأرض وليس الطائر في الجو إذ (المراد هنا الدبي وهو فراخ الجراد قبل أن تظهر له الأجنحة لأنه يخرج من ثقب في الأرض هي مبيضات أصوله فإذا تم خلقه خرج من الأرض يزحف بعضه فوق بعض ....، وهذا التشبيه تمثيلي لأنه تشبيه هيئة خروج الناس من القبور متراكمين بهيئة خروج الجراد متعاظلاً يسير غير ساكن) .[xiv]

والمهطع من يمد عنقه في سيره لذعر أصابه فلا يلتفت إلى شيء، وإذا تصورنا الجراد المنتشر الذي يركم بعضه بعضاً ويعلو بعضه فوق بعض تكون هيئة المهطع مسهمة في تشكيل صورة الخروج على النحو المشار إليه، إذ لا يتصور أن يكون هذا الحشد المكتظ من الجراد أو الناس إلا مهطعاً مادا عنقه في ذعر وعدم استبصار لوجهته.

الفاصلة رقم 8. يوم عسر. جاءت صفة لأحداث ذلك اليوم، لا لليوم وهو مجاز عقلي يوم عسر بعلاقة الزمنية فاليوم زمن للأحداث لذلك جاز إسناد العسر لليوم إسناداً مجازياً.

وإذا كانت الفاصلة رقم 6 قد أشارت إلى الجزاء السمعي والفاصلة رقم 7 قد صورت الجزاء البصري فإن الفاصلة رقم 8 قد حكت الجزاء النطقي اللساني – هذا يوم عسر–

الفاصلة رقم 8

من الظواهر الأسلوبية الاظهار في مقام الأضمار في الآية رقم 8 فقد طغت هذه الظاهرة في الآية حين وردت مرتين:

–مهطعين إلى الداع– فلم تأت الآية مهطعين إليه لتقدم ذكره، بل أظهر الداع تهويلاً ومبالغة في تصوير عسر الموقف.

–يقول الكافرون– وكان من الممكن أن يقال: يقولون هذا يوم عسر. ولكنه أظهر المسند إليه مبالغة للوصف الذميم الملازم لهم دنيا وأخرى.

وعلاقة قوية بين الفاصلة–يوم عسر–ومكونات الآية الكريمة. فإذا كانت الآية قد استقلت كما ذكرت سلفاً بالجزاء اللساني القولي الكامن في مقولتهم: هذا يوم عسر، فإن المتكلم من حقه التصريح به – الكافرون– وكذلك المنادي الذي

يطلب الإقبال نحوه–الداع، فعناصر القول قد اجتمعت في الآية مع فاصلتها، وهي:

–مقول القول: في الفاصلة– هذا يوم عسر.

–المتكلم: في الآية –الكافرون.

–المنادى (وهو من استدعى القول)–إلى الداع.

ويأتي هذا التماسك والتناغم بين الفاصلة وما جاورها ليمنح النص اللغوي تشكيلاً فنياً منسجماً مع المشاعر والمضامين الذاتية، فالعسر والشدة لأحداث المشهد مكون وجداني تعيشه هذه الطائفة، ودور اللغة هو التعبير الأمثل عن هذا المكون العاطفي بما يلائم الطبيعة الواقعية، فنحن إزاء نمط من الأفكار (عملية تكون صعوبة وعسر القيامة) على النص اللغوي إعطاءه القيمة المستحقة من التماسك والترابط وإخراجه والتعبير عنه بشكل جمالي ممتع، (وعلى اللغة أن تلتزم بأداء هذا التشكيل الداخلي الجمالي الذي يستحيل تحقيقه بدونها، وهكذا تتجلى الحاجة الشديدة إلى جميع مظاهر الثراء والتنوع في اللغة– على قصورها– ليتحقق هذا التشكيل)[xv].

وعناصر اللغة ومن بينها الإظهار في مقام الإضمار يسهم في رسم ملامح صورة شدة هذا اليوم باستحضار مايتعالق مع الفاصلة–يوم عسر–على مستوى الفكرة–عسر اليوم–.

إلى هذا هناك التكرار في هذه الوحدة الذي تمثل في الألفاظ الآتية:

–تكرار لفظة "يوم" في الآية 6 يوم يدع. وفي الآية 8: يوم عسر.

–تكرار لفظة "الداع" في الآية 6 يدع الداع. وفي الآية 8: إلى الداع.

–تكرار لفظة "إلى" في الآية 6 إلى شيء. وفي الآية 8: إلى الداع.

إن هذا الضغط بقوة على فكرة الداع ودعوته والمدعو إليه الواردة في الآية 6 بتكرار مرتكزاتها في الآية 8 أمر يبعث على تمثل معنى له قيمته الدلالية والفنية سواء لدى المتكلم أو المتلقي، فالآيتان الملتحمتان تشكلان بناء لغوياً كاشفاً عن دوافع نفسية لدى المعرضين آنذاك اعترتهم من هول الموقف وعظمة اليوم المشهود. وفيه ما يكفي من الإشارة إلى استحقاق هذا الجزاء الرادع بما حوته من ترهيب وتفخيم للمصير.

وقد أسهم التكرار بفاعلية في إدارة حاسة النظر والتأمل للمضامين والرؤى بما له من إيقاعات للمفردات المتكررة كفيلة بتحصيل عنصر الإثارة والتأمل والتأويل، وللتكرار رونق وجمال لا يخفيان ولا يخفى أثرهما في النفس، حيث إن فقراته ومقاطعه المتناسقة تمنح القصيدة لمسات وجدانية يعز عنها إيقاع المفردات المكررة بشكل يصحبه التأثر والتأثير.

فيكون للتأمل والتأويل دور وفاعلية أكبر.

والتكرار في هذه الوحدة هو تكرار مقطعي، فالمقطع اللغوي المتمثل في (يوم يدع الداع إلى) قد تكرار على وجوه عدة وبصيغ ونسب متفاوتة، فالتكرار المقطعي يحتاج إلى وعي كبير من الشاعر بطبيعة كونه تكرار طويلاً يمتد إلى مقطع كامل، وأضمن سبيل إلى نجاحه أن يعمد المبدع إلى إدخال تعديل طفيف على المكرر، والتفسير الفني لجمال هذا التكرار المقطعي أن القاري، وقد مر به هذا المقطع يتذكره حين يعود إليه مكرراً في مكان آخر من العمل الأدبي، وهو لا يتوقع أن يجده كما مر به تماماً لذلك يحس بدهشة حين يلاحظ فجأة أن الطريق قد اختلف وأن المبدع يقوم له في حدود ما سبق أن قرأه لوناً آخر مغاير.

التجانس الحرفي بين الفاصلة وآيتها:

إن الفاصلة المؤلفة من عدة أصوات وحروف تدل على غرض وتحمل دلالة لها ظلالها في الآية المختومة بها، ونحن نحاول هنا أن نوائم بين الفاصلة في حروفها والحروف السابقة عليها باعتبار الأخيرة أصداء للفاصلة، ومن ثم اعتبار هذا الشأن ملمحاً ترابطياً وتماسكاً نصياً يدور في فلك إبداع اللغة وجمالياتها فللحروف دلالتها وتعبيراتها، وقديماً (لم يعن علماء العربية من كل حرف أنه صوت وإنما عناهم من صوت الحرف أنه معبر عن غرض في سياق، وأن أصوات الكلمة العربية حينما تفصص في إطار التركيب يستقل كل صوت من أصواتها ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين وكل صوت له ظل وإشعاع)[xvi].

فالفاصلة باعتبار حروفها لها موسيقاها وإيقاعها الذي نحاول التماسه أو التماس الصفة بينه وبين مكونات الآية المختومة بها وإلى أي مدى أسهمت الفاصلة بظلالها في تجلية المعنى المراد والمقصد المطلوب.

- الفاصلة رقم 1–القمر–إن حرف القاف يعد قوام الآية رقم 1 فهو موجود في–اقترب، وفي انشق مضاعفاً، واختيار القمر فاصلة للآية ملائم لتضمن القاف الذي تدور عليه دلالة الآية وهو قرب الساعة وعلامته شق البدر، وبهذا يشكل القاف إيقاعاً قائماً على عمليتي الاختيار والتوزيع[xvii]، اختيار المفردات بأن اختار القمر دون مرادفاته، وتوزيع هذه المختارات سياقياً.
- الفاصلة رقم 2–مستمر–إن صوت الراء غدا يحمل ظلالاً تجمع بين الآية وفاصلتها في تصوير الفعل ومآلاته فالراء في يروا، وفي يعرضوا، وفي سحر، فهذه الراء وتواليها تحاكي استمرارية قولهم المزعوم.
- وهناك صوت السين في مستمر وفي سحر.
- الفاصلة رقم 3. مستقر، تكرر صوت التاء في اتبعوا الذي جاء مضعفاً ليحاكي الثبات والاستقرار، وتكرر صوت الميم في كل من أهواءهم، وأمر حيث جاء اسماً مضافاً إليه في –أهواءهم– وجاء في –أمر– صوتاً أصيلاً في إشارة إلى اضمحلال ما يتبعون وثبوت واستقرار ما ينفون.
- الفاصلة رقم 4 –مزدجر– بعد صوت الجيم قوام الآية حين ورد في – جاءهم– .
- الفاصلة رقم 5–النذر–قوام الأصوات هنا هو النون–تغن.
- الفاصلة رقم 6–نكر–جاء التلاؤم بين الفاصلة وآيتها هنا تلاؤماً في الصياغة، فـ (نكر) وصياغتها على التجريد والتخفيف دون نكير أو منكر منظور فيه إلى التخفيف في فتول، والداع. سواء كان التخفيف إعرابياً كما في الأول أو مراعاة للرسم القرآني كما في الثاني.
- الفاصلة رقم 7 منتشر–قوام الأصوات هو الجيم في يخرجون، والأجداث، وجراد، والفاصلة جاءت متضمنة الشين والتي هي أخت الجيم فكلا الحرفين من الأحرف الشجرية[xviii]، ولعل فكرة الخروج والبعث هي التي كان لها الحضور الأقوى في الآية باعتبار إنكارها ورفضها والإعراض عنها، والجيم في الخروج يرشح مجيء الفاصلة–منتشر. دون مرادفاتها، وأيضاً رشح الجدث ورشح الجراد مع أن المراد كما مر بنا هو الدبي وليس الجراد مكتمل الأطوار.
- الفاصلة رقم 8. عسر–قوام الآية انطلق من صوت العين في الفاصلة فجاءت مهطعين، والداع.

البناء التركيبي في الإعراض الماضي:

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ(9) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (10)فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ (11)وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ(13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (14)وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(17) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18)إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ(19) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ(20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(22) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ (23)فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ(24) أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ

أَشِرٌ(25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (26)إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ(28) فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ(29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (30) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ(31) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (32) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ (33)إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ(34) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ(35) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ (36)وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ(37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ(38) فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ(39) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(40) وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (41) كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ(42) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ(34) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (44)سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (45)بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ(46)﴾[xix]

أولا: قوم نوح:

ابتدأت الآيات بقوم نوح وجاء ذكرهم في تسع فواصل ابتداء من الفاصلة رقم 9 إلى الفاصلة رقم 18. وهي كالآتي:

الفاصلة 9 : ازدجر.

الفاصلة 10 : فانتصر

الفاصلة 11 : منهمر

الفاصلة 12 : قدر

الفاصلة 13 : دسر

الفاصلة 14 : كفر

الفاصلة 15 : مدكر

الفاصلة 16 : نذر

الفاصلة 17 : مدكر

جاءت الفواصل التسع نكرة ومتباينة في الإعراب بما يلائم المقاصد والمعاني، فمثلاً في الفاصلة التاسعة بني الفعل للمجهول–وازدجر– للتوصل إلى حذف المسند إليه تنزيها لذات سيدنا نوح–الضمير في الفعل ازدجر–عن أن يقع مفعولاً لضمير قومه في قالوا. لذلك عدل عن أن تجيء الفاصلة وازدجروه. فالبناء لما لم يسم فاعله كامن لهذا الغرض.

وعلة اختيار الجمع بـ فُعل في الفاصلة 13 مع أنها تجمع على دسار–للمماثلة مع ما قبلها وما بعدها. قدر، وكفر، ونذر.

فجميع هذه الفواصل بنيت على –فُعل–من أجل المماثلة والموازنة في البناء، فعدل عن الجمع القياسي في بعض، وحذف بعض ملحقاتها كما هو الحال في الفاصلة 16 حين حذف ياء المتكلم–نذري–جرياً على المماثلة في الأبنية.

إضافة إلى شيوع بناء المفاعلة والمطاوعة، وهي:

–ازدجر– افتعال من الزجر

–انتصر– افتعال من النصر

–منهمر– مطاوعة من همرته فانهمر

–مدكر –افتعال من الادكار البصري.

–مدكر–افتعال من الادكار العقلي

وفي مجئ أكثر من شطر الفواصل المتعلقة بقوم نوح على الافتعال مناسبة لما كان يقع بين نوح وقومه من الجدل والحوار حول الدعوة إلى وحدانية الله وملحقاتها من صنع السفينة والطوفان ودعاؤه ليلا ونهارا وجهراً وإسراراً ومحاورة صناعة السفينة ومرور قومه عليه وما يتقولونه فيه ورده عليه السلام بما يلائم خطابهم ثم حواره مع الله تعالى بخصوص ابنه، واستجداآته لابنه بالركوب حال الطوفان... كل هذه المواقف يكون التفاعل والافتعال فيها أقرب من التجريد.

وقد جاءت الفاصلة 15 مدكر والمعنى ادكار النظر في مآلات الأمم السابقة في حين كانت الفاصلة 17. مدكر بمعنى الادكان بالآيات القرآنية. الادكار البصيري العقلي. ولم يأت كلا الأدكارين في بناء مجرد من نحو: فهل من يذكر وينظر سعياً للانضمام في مسار الافتعال الذي اتسم به حال سيدنا نوح مع قومه وهو[xxxxi] يدعوهم.

إضافة إلى المطاوعة في منهمر–والانهمار نزول الماء بقوة وسرعة، والانهمار مجانس لتفجير العيون من الأرض، والمشهد الطوفاني محكوم بالشدة والسرعة في جميعه–شدة سرعة في أولة–حصول الطوفان–وشدة وسرعة في مختتمه–نهاية الطوفان–فالشدة والسرعة في المبتدأ تكفل بها– انهمار السماء وانفجار العيون–والشدة والسرعة في الاختتام تكفل بها–بلع الأرض وقلع السماء.

ولما كانت الآية هنا معنية بعرض الشدة والسرعة الأولى جاء بناء الفاصلة انهمر المزيدة بنون المطاوعة الدالة على الإنجاز السريع.

البناء البلاغي للفاصلة في قوم نوح عليه السلام:

إن كل فاصلة من هذه الفواصل بنيت بناء بديعياً ملتزماً في معظم أبنيته بالفعل وردة الفعل، حيث كانت معظم هذه الفواصل ثنائية البناء أي تتضمن حديثين متعاقبين غالباً ما يكون الأول سبباً ومدعاة لحصول الثاني، وهي كما يلي:

الفاصلة 9 . وقالوا مجنون وازدجر عاقبة ونتيجة لقولهم السابق كذبوا عبدنا.

الفاصلة 10. أني مغلوب فانتصر، عاقبة لقوله، فدعا ربه.

الفاصلة 11. بماء منهمر، جاء مآلا لفتح أبواب السماء.

الفاصلة 12. التقى الماء أمر قد قدر، جاء عقب قوله–وفجرنا الأرض.

الفاصلة 13. ألواح ودسر، بعد قوله: وحملنه على ذات.

الفاصلة 14. لمن كان كفر. جاء عاقبة وامتنان لمن آمن وجزاء لمن أعرض عنه.

الفاصلة 15. فهل من مدكر جاء. عاقبة وامتناناً لمن آمن وجزاء لمن أعرض عنه.

الفاصلة 16. ونذر. استفهام عن النذارة تقدمه استفهام عن العذاب.

الفاصلة 17. من مدكر. طلب الادكار تقدمه تيسير الادكار وتحصيل أسبابه.

وفي مجيء الفواصل على العدد تسعة ملاءمة للزمن الذي مكث بسيدنا نوح عليه السلام يدعوهم فيه، وهي القرون التسعة، فكل فاصلة تشير إلى قرن من الدعوة والتبليغ.

ولم تختف المناسبة الصوتية في هذه الفواصل لآيات كل منها.

–فالفاصلة التاسعة–وازدجر–قوامها الجيم الموجود في : مجنون.

–والفاصلة العاشرة– فانتصر–قوامها النون الموجود في ضمير التكلم–أنى.

–والفاصلة الحادية عشر–منهمر–قوامها الميم في السماء.

والفاصلة الثانية عشر– قد قدر–قوامها القاف في التقى.

والفاصلة الثالثة عشر– ألواح ودسر–قوامها الحاء في حملناه باعتبار دسر معطوفة على ألواح فالفاصلة معطوفة.

والفاصلة الرابعة عشر– كفر–قوامها الكاف في الفعل الناقص المقحم–كان..

والفاصلة الخامسة عشر– مدكر– قوامها الكاف في تركناها.

والفاصلة السادسة عشر– ونذر– قوامها الذال في عذابي.

والفاصلة السابعة عشر– قوامها الذال والكاف في للذكر.

ثانياً قوم هود:

ذُكرت قصته وإعراض قومه عنه من الآية 18–22 وكانت فواصلها كما يلي:

الآية 18– نذر
الآية 19– مستمر
الآية 20– منقعر
الآية 21– نذر
الآية 22– مدكر

ابتدأت الفواصل بالاستفهام المجازي بمعنى التعجب من إعراضهم وتكذيبهم، وجاءت أولاها–نذر والحذف للياء مراعاة للفاصلة، وبناؤها على الجمع إشارة إلى تكرار الإنذار فلم تأت على نذير أو منذر للعلة المذكورة، وقد تكررت صيغة التعجب بالاستفهام في قصة قوم عاد في الفاصلة 21، وتكرار البناء الاستفهامي يشير إلى الاستحقاق الجزاء بعد حلوله ووقوعه، بوعيد وتهديد من يتبنون فكرة الإعراض والتكذيب، في حين كان الذكر الأول للاستفهام التعجبي لمجرد الاستغراب من حالهم المنطوي على التكذيب والإعراض، فتوزعت فواصل القصة ما بين الزجر بالاستفهام قبل حلول الجزاء وبين بيان الاستحقاق– الوعيد– بعد وقوعه.

كما أن تماثلاً بين فاصلتي الجزاء وهما 19– مستمر–و 20– منقعر من حيث كونهما وصفاً لمتقدم : (نحس ونخل)، ومستمر ليس صفة لليوم بل وصفاً للنحس ووصفه بالاستمرارية ليفيد الإبادة التامة[1]، ووصف النخل بالانقعار لإفادة مبلغ الهلاك والفناء من هذه الصورة الفضيعة لحالهم والمخيفة لمن يراهم.

ثم مجيئها على الخماسي لكونهما خاصين ببيان جزاء ومصير القوم، فكان بناء الفواصل محكوماً بالمضمون والدلالة.

وثمة علاقة بين الفاصلة–منقعر–وما ورد في آيتها وهو –تنزع–إذ النزع هو الإزالة بعنف بحيث لايبقى اتصال بين المزال وبين مكانه، والمنقعر هو المجتث من أصوله بحيث لاتبقى له بقية في المكان الذي كان فيه، فبين الفاصلة ومكونات الآية علاقة إزالة مطلقة وشديدة.

ثالثاً: قوم صالح:

وفواصل الآيات المتعلقة بقوم صالح هي:

الفاصلة 23: بالنذر
الفاصلة 24: وسعر
الفاصلة 25: أشر
الفاصلة 26: الأشر
الفاصلة 27: واصطبر
الفاصلة 28: محتضر
الفاصلة 29: فعقر
الفاصلة 30: ونذر
الفاصلة 31: المحتظر
الفاصلة 32: مدكر

اتخذت الفواصل العشر فيما بينها بناء نحوياً مميزاً بالتناوب بين التعريف والتنكير للاسم ذاته، كما في الفاصلة 23 و 30.

بالنذر/ نذر

والفاصلة 25 و 26

أشر/ الأشر

ثم تأتي تاء الافتعال لتأخذ نصيبها الوافر من التواصل فكانت في:

–اصطبر
–محتضر
–المحتظر
–مدكر

ولعل في شيوع الافتعال في نصف الفواصل تقريبا ما يشير إلى ذلك السجال الذي شاع بين نبي الله صالح عليه السلام وقومه حول تقسيم الماء والشرب المعلوم.

ثم بقيت الفاصلتان 24– سعر و 29– فعقر. وكلاهما متعلق بما تقدمه تعلق البسيط بالمعقد والقوي الأقوى، فالسعر هو الجنون وجاء بعد الضلال، والقوم إذ يكونون في ضلال أهون من أن يكونوا في جنون لأن الضال يرجى اهتداؤه أما المجنون فلا رجاء فيه، لذلك انتقلت الفاصلة من الشديد – الضلال– الأشد – الجنون.

وكذلك –فعقر– التي جاءت عقب– فتعاطى– والتعاطي فيه مطاوعة التناول (وصيغة تفاعل تقتضي تعداد الفاعل)[1]، ففي تعاطي أن كل واحد من الفاعلين كان يحجم عن مباشرة الفعل ويشير بذلك إلى غيره فيقوي بعضهم بعضا، إلى أن جاء من وقع قتل الناقة على يده، فكانت الفاصلة أن جسدت الانتقال الأشد من سابق، فالتعاطي لا يرتب التزاما كما يرتبه العقر.

رابعاً: قوم لوط:

وجاءت القصة في آيات التواصل الآتية:

الفاصلة 33: بالنذر
الفاصلة 34: بسحر
الفاصلة 35:شكر
الفاصلة 36: بالنذر
الفاصلة 37: ونذر
الفاصلة 38: مستقر
الفاصلة 39: ونذر
الفاصلة 40: مذكر

شاع في هذه المجموعة لفظ النذر ونذر، وهم رسل الله وأنبياؤه وعلامات التصديق والحجج والبراهين الدالة على صدق ما يدعون إليه. فجاءت الفواصل: 33، 36، 37، 39، بمعنى النذارة والإنذار، وكان بناء هذه الفواصل المكررة بناء نمطياً، إذ ورد مرتين بالتعريف 33، 26 ومرتين بالتنكير 37، 39.

وأيضاً كان الجذر اللغوي في الفاصلة المعرفة تعليلاً وبياناً للحال وفي الفاصلة المنكرة جزاء وعقاباً.

أما الفاصلة 34 –بسحر – وهي زمن النجاة، ونحن هنا أمام زمنين زمن النجاة–السحر–وزمن الهلاك. الصبح، والصبح وإن لم تتضمنه الآية إلا أنها تضمنت ذكر أحداثه–أرسلنا عليها حاصباً– وبينت آية 38 زمن الإرسال في – ولقد صبحهم–

والفاصلة 35– من شكر– تجانست مع آيتها حين اشتملت الآية على النعم–نعمة من عندنا– والنعمة والشكر متلازمان لا ينفكان إذ كل منهما يقتضي استدامة الآخر.

وتبعاً لدعوة الرسل وما تقتضيه من جدل وحوار حرصت فواصل السورة على تصويره في هيئة تفاعل وافتعال، ومنه– مذكر.

خامساً: قوم فرعون:

وجاء الحديث عنهم في الفاصلتين الآتيتين:

الفاصلة 41: النذر
الفاصلة 42: مقتدر

وقد تنوعت الفاصلتان بين التجريد والزيادة وبين التعريف والتنكير وبين الاسمية والوصف.

والفاصلة 41 بالإمكان اعتبارها فاصلة الإظهار لظهور الفاعل فيها وظهور المفعول به. آل فرعون–

في حين تكون الفاصلة 42 فاصلة إضافة فمقتدر مضاف إليه، ونا الفاعلين في آياتنا مضاف إليه وكذلك عزيز.

فكانت بهذا أن ماثلت كل فاصلة ما تكونت منه آيتها وتآلفت معها فترتبت الفواصل ترتيب المعاني، وبهذا تكون في الموضع الذي أشار إليه عبدالقاهر (وأما نظم الكلام فإنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المتقدم بعضه مع بعض، وكذلك كان عندهم نظير للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح)[1].

الفاصلة في الجزاء المستقبلي:﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (46)إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ(48) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ(49) وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ (5)وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ (52)وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (53)إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ (54)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55)﴾[1]

وعليه فإن هذا المطلب يكمن في محورين:

أ–الفاصلة في تهديد مشركي مكة.

ب–الفاصلة في–البنية التركيبية والفنية للفاصلة:

تضمنت الأخبار المستقبلية تهديداً ووعيداً موجهاً لمشركي مكة بعد الانتهاء من عرض إعراض الأمم السابقة في وصف الغيبيات.

بداية بالنقطة الأولى وتشمل الفواصل الآتية:

الفاصلة 43 : الزبر.

الفاصلة 44 : منتصر

الفاصلة 45 : الدبر

الفاصلة 46 : وأمر.

اتفقت الفاصلتان 43–44 في اعتمادهما على استفهام توبيخي كانت فيه الفاصلة 43 جمعاً للزبور وهو الكتاب ليتم تسجيل التبكيت عليهم بأن يأتوا ببراءة في أي كتاب سابق، وهو أمعن في التحدي والتوبيخ.

واتفقت الفاصلتان 44، 45، في كونهما مفردين بمعنى الجمع، والفاصلة 46، على أفعل التفضيل مثل أدهى المتقدم.

وبملاحظة تماسك التواصل مع سياقاتها والآيات الواقعة فيها نلحظ أن علاقة للفاصلة 43 مع –براءة–والبراءة هي المكتوب والمسطور.

ولما كان لفظ–جميع– في الآية 44. مفرداً لفظا جمعاً معنى جاءت فاصلتها موائمة لها–منتصر.

والفاصلة 45–الدبر– هي صدى للهزيمة المذكورة في –سيهزم– إذاً نحن أمام ثنائيات أربع مثل التواصل طرفاً منها:

البراءة ـــــــ الزبر

جميع ـــــــ منتصر

سيهزم ـــــــ الدبر

أدهى ـــــــ أمر

أما الفاصلة في الغيبيات فجاءت كالآتي:

الفاصلة 47: سعر

الفاصلة 48: سقر

الفاصلة 49: بقدر

الفاصلة 50: بالبصر

الفاصلة 51: مدكر

الفاصلة 52: الزبر

الفاصلة 53: مستطر

الفاصلة 54: ونهر

الفاصلة 55: مقتدر

تنوعت أبنية الفاصلة من حيث التركيب النحوي؛ حيث استهلت بالفاصلة المعطوفة–ضلال وسعر–في مقام الكفر. ووازنتها فاصلة معطوفة في مقام الإيمان –في جنات ونهر–وبعلاقة تضادية تحاكي ضدية الكفر للإيمان نبيه–سعر–و نهر– فالسعر هو النار والنهر هو الماء. والسعر معطوف على –ضلال– وهو التيه والتخبط والنهر معطوف على جنات وهي الستر والتواري.

والعلاقة جلية بين الفاصلة 52، 53، الزبر–مستطر. فهما من باب واحد.

إن الفاصلة في العينات اتخذت من الاستفهام الذي شاع في مقامات سابقة اتخذت منه محوراً بحلول–الاستفهام المجازي بمعنى التهديد في منتصف الفواصل.

وبالنظر في الفواصل مع آياتها نجد أن أغلب الفواصل المجرورة بحرف جر تضمنت آيتها فعلا ماضياً. خلقناه بقدر–أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر.

فعلوه في الزبر.

والفواصل في هذا المقام كانت اسمية لأن الأسماء في معظمها معربة، وهذا يعطي مرونة أوسع في التنوع الحركي لأواخر الأسماء– أمر. سقر– سعر ؛ فالأسماء عموماً أخف من الأفعال كما يقول النحاة1.

ويمكننا القول في فواصل هذا المقام، إن السياق ابتدأ بالحديث عن القيامة وأحوالها فكانت فواصل آيات القيامة اسمية وثلاثية ومجردة–أمر–سعر–سقر...–

وعند الانتقال إلى مقام الترغيب والوعد للمتقين شاع في الفواصل صيغة الافتعال الدال على التكلف والاحتشاد والمبالغة –مستطر–مقتدر–مذكر. وفي هذا إشارة إلى مغايرة المقام لما سبقه بما تحويه دلالة الافتعال من حث على المقصدية وعدم الاتكالية والاتكائية.

نتائج البحث

بعد عرض ما تقدم نجمل ما توصل إليه البحث من نتائج وملاحظات، وهي كما يلي:

- إن ما أرساه البلاغيون القدامى من مقاييس وأطر لإبراز القيمة الفنية للسجع عموما جهد كبير ينبغي اعتماده والانطلاق منه لأجل تطوير وإبداع الكشف عن جمالياته ، ومن بينها جماليات الفاصلة القرآنية ، ويتأتى ذلك من المواءمة بين النص البديعي والسياق المحكوم به ، من خلال إدراك العلاقات والروابط التي تنسجهما وتؤلف بينهما ، وهذا يغاير الوقوف عند الأسس الأولية من نحو احتساب الفقرات وطولها وقصرها ..
- تم الكشف عن الإبداع البديعي للفاصلة في سورة القمر من خلال مستويات الزمن الثلاثة ، فقد تبنت الآيات الثمانية الأولى ملامح الإعراض الآني ، وحتى الخامسة والأربعين الإعراض الماضي ، وحتى نهاية السورة كانت للجزاء المستقبلي.
- تم تحليل البنية التركيبية والفنية في سياقات السورة فبان اعتماد توزيع الفواصل على أساس جمالي يقوم على التوزيع المتناسق ، كما هو الحال في الفواصل الثمانية الأولى حين اتخذت تتابعا وتكرارا نمطيا لعنصري التعريف والتنكير ، فكانت الأعرفية والفاعلية في الفاصلة الأولى تليها ثلاث فواصل منكرة ، وتأتي الخامسة معرفة وفاعلا أيضا تليها ثلاث فواصل منكرة .
- التلازم بين الفاصلة ومكونات الآية الواقعة فيها ، فمتى كانت الفاصلة صفة منكرة زخرت الآية بالفعل المضارع ، ومتى كانت اسما معرفا اعتمدت الآية على الفعل الماضي ، كما هو الحال في سياق الإعراض الآني .

- التجاوب البنائي بين مكونات لفظة الفاصلة ومكونات ألفاظ الآية ، كما الحال في الآية الأولى وفاصلتها ، وهي لفظة " القمر " وكأن مجيئ هذه اللفظة محكوم بشيوع القاف في آيتها " اقتربت ، وانشق ".
- شاع في فواصل السورة مجيئها نتيجة لسبب مسبق ، أو مجيئها ردة فعل لفعل سابق ، ومن هذا ما ورد في سياق الإعراض الماضي .
- من بين وجوه التعالق المعتمدة في الفواصل إشارتها إلى وقائع وحقائق خارج النص ، فالفواصل المعنية بقوم لوط جاء شطرها من مادة النذارة والإنذار ، وفيه تصوير لفضاعة الفعل وتحذير من سوء المنقلب ، وفواصل قوم صالح اعتمدت صيغة الافتعال في إشارة إلى افتعال ذاك السجال حول قسة الماء ، ومع فواصل قوم نوح اعتمدت رباط الكم والعدد ، فجاء ذكرهم في تسع فواصل لتماثل تسعة قرون من الدعوة والتبليغ ، في حين خالفت فواصل كل الأمم هذا العد .

لم تكن الفواصل مطلقة بل مقيدة بالفكرة التي تعني نفسها ببيانها ، فتلونت الفواصل داخل السياق بلون يغاير جارتها الواقعة ردفا لها ، كما الحال في فواصل الغيبيات لدى الجزاء المستقبلي ، فهي وإن كانت جميعها من الغيبيات إلا أن الغيب المتعلق بأهوال القيامة يغاير الغيب المتعلق بالوعد والمثوبة ، فلكل فواصل ترسم موضوعه وتسطر

1_ النكت في إعجاز القرآن. علي بن عيسى الرماني. تحقيق محمد خلف الله. دار المعارف. القاهرة. ص 45

2 – إعجاز القرآن أبوبكر الباقلاني–تحقيق: محمد خفاجي . دار الجيل، بيروت، ط1، ص111.

3– أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ: رتير، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983م. ص13.

4 – الـ مثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر القاهرة، 271/1.

5– ينظر: مواهب المفتاح، ضمن شروح التلخيص، أبو يعقوب المغربي، مطبعة بولاق، 1318هـ، 450/4.

6– الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، 264.

7– ينظر البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، 21.

8– إعجاز القرآن، الباقلاني، 115.

9 – ينظر النص والخطاب والإجراء ، روبرت دوبوجراند .ترجمة تمام حسان . عالم الكتب. القاهرة 1989 ط1 .103.

10 سورة القمر . الآيات 1 – 8.

11 – ينظر: معجم القواعد العربية–عبدالغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط1، 1986م، 401.

12 – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 170/11.

13 – المصدر نفسه، 175/11.

14–تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 174/11.

15. المصدر نفسه. 11/ 179.

16 – علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته–صلاح فضل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط2، 1985م.

17 – ينظر الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد النجار، دار الكتب المصرية، 1957، 550/1–553.

18 – ينظر بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993م، 363.

19 – ينظر البلاغة في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط3، 1992م، 28/1.

20 سورة القمر .الآيات: 9–46 .

• كنهه .

1_ النكت في إعجاز القرآن. علي بن عيسى الرماني. تحقيق محمد خلف الله. دار المعارف. القاهرة. ص 45–

2 – إعجاز القرآن أبوبكر الباقلاني–تحقيق: محمد خفاجي . دار الجيل، بيروت، ط1، ص111.

3– أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ: رتير، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983م. ص13.

4 – المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر القاهرة، 271/1.

5– ينظر: مواهب المفتاح، ضمن شروح التلخيص، أبو يعقوب المغربي، مطبعة بولاق، 1318هـ، 450/4.

6– الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، 264.

7– ينظر البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، 21.

8– إعجاز القرآن، الباقلاني، 115.

9 – ينظر النص والخطاب والإجراء، روبرت دوبوجراند. ترجمة تمام حسان . عالم الكتب. القاهرة 1989 ط1 .103.

10 سورة القمر . الآيات 1 – 8.

11 – ينظر: معجم القواعد العربية–عبدالغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط1، 1986م، 401.

12 – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 170/11.

13 – المصدر نفسه، 175/11.

14–تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 174/11.

15. المصدر نفسه. 11/ 179.

16 – علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته–صلاح فضل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط2، 1985م.

17 – ينظر الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد النجار، دار الكتب المصرية، 1957، 550/1–553.

18 – ينظر بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993م، 363.

19 – ينظر البلاغة في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط3، 1992م، 28/1.

20 سورة القمر .الآيات: 9–46 .

21 – ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 193/11.

22 – تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور 201/11.

23 – تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور 201/11.

24 سورة القمر الآيات 46 – 55 .

25 – ينظر: الإيضاح في علل النحو–أبو القاسم الزجاجي. دار النفائس، ط6، 1996م/100.